



مصطلحات قديمة في القاموس السياسي (2- 3)

بقلم رائف محمد الويشي

20 مارس 2012

ذكرنا في الحلقة الأولى من هذه الدراسة أن السياسيين كان لهم على مر التاريخ السبق في جلب الشرور إلى الأرض ، وقد ذكرنا أن سلوكيات السياسيين في القرن الماضي وحده تسببت في مقتل 220 مليون من بني البشر بالإضافة إلى ضعف هذا الرقم من الجرحى ، مع ما صاحب ذلك من تدمير شامل في الممتلكات العامة والخاصة في عدة دول متفرقة .. ذكرنا في الحلقة الماضية أيضا مصطلحين من القاموس السياسي لهؤلاء الحكام وهما مصطلح الطغيان ومصطلح الاستبداد .. في الحلقة الثانية اليوم سواصل الحديث عن تلك المصطلحات :

ثالثا : الدكتاتورية

مرت روما القديمة بمرحلتين من الحكم السياسي :
المرحلة الأولى (الجمهورية الرومانية) : وقد بدأت هذه المرحلة من عام 510 ق . م وحتى منتصف القرن قبل الميلاد الأول ، أي أنها ظلت لخمس قرون ..
المرحلة الثانية (الإمبراطورية الرومانية) : وتلت المرحلة الأولى ، والأرجح أنها بدأت مع تعيين يوليوس قيصر في عام 44 ق . م ، واستمرت لخمس قرون تقريبا أيضا ..

عرف الناس للمرة الأولى بكلمة " الدكتاتورية " في المرحلة الأولى في روما القديمة ، أي مرحلة الجمهورية الرومانية ، لم تكن الكلمة حينها تحمل المعاني السياسية التي تحملها الآن ..

نص دستور الجمهورية الرومانية القديمة على إنه إذا مرت البلاد بأزمات مدنية أو عسكرية فإن إدارة الدولة تسند بكاملها إلى شخصية عسكرية تدير البلاد ، يمنح هذا الحكم العسكري المؤقت لقب " دكتاتور " ويُعطى سلطات يدير بها الدولة لمدة ستة شهور ولا تزيد عن سنة ، وعليه بعد انتهاء تلك الأزمة أن يسلم جميع السلطات الممنوحة إليه إلى ممن كانوا يتولون إدارة شؤون البلاد قبله ويعود إلى وظيفته السابقة ..

يقول الباحث الأستكتندي روبرت م. ما كيفر – توفي في عام 1970 - في كتابه (تكوين الدولة ص 280 / 281 - ترجمة د. حسن صعب – دار العلم للملايين) ما يلي : " من المهم أن نلاحظ أنه – أي الدكتاتور – يؤدي في نهاية مهمته " كشف حساب " عما قام به ، وذلك يعني أن هناك رقابة ومحاسبة ، وتلك نقطة أساسية تجعله يختلف عن الدكتاتور العاصر " ..

كان الدكتاتور في الجمهورية الرومانية يتم اختياره من طبقة النبلاء ، ولم يحدث أن تجاوز الصلاحيات الممنوحة له ، الحاكم العسكري سنساتس لم يتجاوز المدة التي منحت له ، فقد عينه مجلس الشيوخ مرتين ، كانت الأولى في عام 458 ق . م ، وكانت الثانية في عام 439 ق . م ، وفي الحالتين ترك مزرعته التقاعدية وحكم البلاد عسكريا وأدى مهمته على الوجه الأكمل وعاد إلى مزرعته ..
هناك استثناءان حدثا : كانت الأول للدكتاتور سولا وقد بقي في منصبه من عام 82 ق . م وحتى عام 79 ق . م ، وكان الثاني في عام 44 ق . م على يد الدكتاتور يوليوس قيصر وقد انتهى بقتله ..

أما الدكتاتورية الحالية والتي تختلف عن دكتاتورية الجمهورية الرومانية فيقول عنها روبرت م. ما كيفر في نفس المصدر السابق (ط 2 ، ص 278) ما يلي : " إن الدكتاتورية لا تنبالي بإعطاء البرهان على الشرعية الاجتماعية أو الحقوقية لتصرفاتها ، لأنها تنكر الفلك الاجتماعي القائم ، وتحل محله تعريفها التعسفي للحق ، وهو تعريف يتغير بتغير ظروفها ، ولذلك تزدهر الدكتاتورية أكثر ما

تزدهر في أوقات الأزمات ، التي يتهافت فيها النظام القائم وتتهالك التقاليد ، وتستفحل المنازعات ، فيتملك اليأس النفوس ويرضى الناس بالرجل القوي ، مضحين بالكثير مما يعز عليهم لأنه يعدهم بعودة الثقة والأمن ، ويتنازلون في مثل هذه الأوقات العصبية عن معايير الشرعية التي لا يتنازلون عنها في أوقات أخرى " ..

رابعاً : الشمولية

الشمولية تعنى ببساطة استخدام العنف كي يذوب جميع أفراد الشعب ومؤسسات الدولة في قالب واحد ، فيحمل الجميع نفس العادات والتقاليد وتسخر إمكانيات الدولة لهذا الهدف وحده ..

يقود هذا القالب شخصية واحدة ، تجمع كل السلطات في يده وتتمتع بمواهب سحرية وأسلوب خطابي مميز ، وقد يطلق على تلك الشخصية اسم ، وقد يكون " الزعيم " كما كان موسوليني في إيطاليا (الدوتشى) ، وكما كان هتلر في ألمانيا (الفوهرر) ، وقد يكون " الأخ القائد " كما كان القذافي في ليبيا ، وعلى عكس الأساليب السياسية السابقة ، فإن الشمولية لا تحمل جذورا في التاريخ ، فقد سمع بها العالم في الربع الأول من القرن العشرين ، ويبدو أنها ظهرت بظهور النظام النازي في ألمانيا ، والفاشي في إيطاليا ..

في خطابه في 25 أكتوبر 1925 قال موسوليني ما يلي : " الكل في الدولة ، لا قيمة لشيء إنساني أو روجي خارج الدولة ، فالفاشية شمولية ، الدولة الفاشية تشمل جميع القيم وتوحدها ، وهى التي تشرح هذه القيم وتفسرها ، إنها تعيد صياغة حياة الشعب كله " ..

اشتقت كلمة الفاشية من الكلمة اللاتينية Fasces والتي تعنى الجماعة أو الرابطة ، وهى على هذا النحو ترمز إلى جميع أفراد الشعب عندما يتحدون تحت إدارة قائد واحد ..

إذا أردنا معرفة الكلمة اللاتينية التي ذكرناها فإنها تعنى مجموعة من الحبال المربوطة جيدا في رأس بلطة حديدية ، وكان هذا الشكل يرمز قديما عند الرومان إلى السلطة والقوة ، وهو نفس الشعار الذي اتخذه موسوليني عندما أسس الحزب الفاشي في عام 1922 ..

على أرض الواقع فإن الشمولية لا تؤمن بالفصل بين السلطات ، فقد ذابت واتحدت جميعها في يد القائد الملهم ، كما أنها تدعى بأنها تحكم باسم الشعب ، ولا غرابة في فبركة المظاهرات الحاشدة في الشوارع وهى تهتف باسمه وتدعوا له بالخلود في منصبه ..

تدعى الشمولية أن القائد دائما يترجم أحاسيس شعبه ، فهو العبقري القادر على جعل الصحراء الجرداء تمتلئ بالفواكه والخضروات من كل لون ، وهو العالم بأحدث وسائل التكنولوجيا ، وقد يخترع أحدث سيارة في العالم كما فعل القذافي ، وقد تتحول عبقريته فتجعل البلاد تمتلك شمسا مشرقة على الدوام كما فعل كيم ايل سونج في كوريا وتشاوشيسكو في رومانيا ، وعلى الشعب أن يصدق حتى لو مات جوعا كما حدث في كوريا الشمالية أو مات من البرد كما حدث في رومانيا ، وإلا !!! ..

ولا غرابة في أن القائد في النظام الشمولي يفتع دائما شعبه بأنه ينتمي إلى فصيل نادر من سلالة وجود بها الزمان كل عدة قرون ، وقد يتوقف الزمان عنده ..

لنأخذ كوريا الشمالية مثلا ، فهم أنفقوا بلايين من أموال الشعب وسخروا عشرات الألوف من المواطنين لبناء مباني ضخمة مجهزة بأجهزة تكييف لحفظ الجرائد والمجلات التي تصدر في بلادهم ومنعوا تدويرها ، السبب في ذلك هو أنها تحمل اسم وصور الزعيم كيم ايل سونج ..

إذا عرفنا أن كل صفحة في الجرائد والمجلات قد حملت إما اسمه أو صورته منذ أن استولى على البلاد في عام 1948 لعرفنا حجم الإنفاق في حفظ هذه الأوراق ، بينما تعرض الشعب عدو مرات للمجاعة بسبب نقص الموارد .. وإذا عرفنا أن المواطنين لا يتمتعون بأجهزة التكييف والتدفئة لعرفنا حجم الكارثة التي يعيشها المواطن في تلك البلاد التي يسقط فيها الثلج بجزارة في الشتاء ..

من الطبيعي أن يكون الإعلام أحد أهم المرتكزات في النظام الشمولي ، فعليه يقع العبء الأكبر وهو غسل أدمغة الشعب وتحويله إلى هياكل تتحرك بانتظام موحد في سيمفونية القائد الملهم ، فلا تتفوه إلا بما يرضاه لها ، ولا يمتد له طرف إلا بما يصرح به ..

خامسا : السلطة المطلقة

هناك خيط رفيع يفصل بين الشمولية والسلطة المطلقة ، ففي الشمولية توجد رقابة فعالة على جميع أجهزة الدولة ووظائف المجتمع ، بينما تنعدم تلك الرقابة في السلطة المطلقة لأن القائد يقوم بتلك المهمة ..

انتشر مصطلح " السلطة المطلقة " في أثناء الثورة الفرنسية (1789 / 1799) ، فقد كثر استخدامه في عام 1796 لأن نابليون بونابرت هو أول من طبق السلطة المطلقة كنظام سياسي في البلاد ..

كان بالقرنين السادس عشر والسابع عشر العديد من الفلاسفة المؤيدين للسلطة المطلقة ، كان العامل المشترك بينهم هو إيمانهم بأن أي حكومة تحتاج إلى سيادة ، أي القدرة على إصدار القرارات دون مساءلة ، ومن هؤلاء الفلاسفة ما يلي :

* طوماس هوبز (إنجلترا) : أحد أكبر فلاسفة القرن 17 ، وكتب أفكاره المؤيدة للسلطة المطلقة في كتاب التنين ، وتوفى في عام 1679 ..

* سير روبرت فيلمر (إنجلترا) ، توفى في عام 1653 وكتب كتاب " الأب الروحي " روج فيه لتلك الفكرة ..

* جان بودان (فرنسا) : فيلسوف فرنسي توفى في عام 1596 ..

* الأب جاك بوسيه (فرنسا) : استند في تأييده للسلطة المطلقة إلى الكتاب المقدس ، توفى في عام 1704 ..

من المهم أن نذكر أن مصطلح السلطة المطلقة لم يعد له وجود على أرض الواقع ، سوى في حلقات الدراسة والبحث عند الدارسين خاصة في دول العالم الثالث في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ..

سادسا : الأوتوقراطية

الأوتوقراطية هي كلمة يونانية تعنى الحاكم الإلهي ، يحصل الحاكم الواحد في الأوتوقراطية على سلطاته عن طريق التعيين وليس الانتخاب ، وهي فروق دقيقة بينها وبين بعض الأنظمة السابقة ..

الأوتوقراطية تحترم حقوق وحرريات الأفراد ، بينما نرى أن النظام الدكتاتوري أو الشمولي لا يقيم وزنا لحرريات وحقوق الأفراد ، لهذا نرى أن الدافع للانحياز نحو السلطة في الأوتوقراطية هو ولاء الرعية ، بينما نرى الخوف المسيطر على الشعب هو الحافز الوحيد للولاء في حالة الدكتاتورية ..

يستند الأوتوقراطي في حكمه إلى أفراد إلى قلة مسيطرة على مقدرات الدولة ومؤسساتها في المجتمع من أجل أن يستطيع أن يحكم سيطرته على الشعب ..

في الحلقة القادمة سناول الحديث إن شاء الله عن تلك المصطلحات ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزوري – أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com